

سد النهضة وأثره على مصر^١

بدأت مشكلة سد النهضة بعد الثورة بشكل عام حين أعلنت إثيوبيا عن بدء بنائه، وتفاقت المشكلة في رئاسة د.محمد مرسي بشكل خاص، لما يمثله من تهديد للمصالح المائية المصرية وتهديد لأحد أهم قضايا أمنها القومي، وكثر اللغط حوله، وتعرض تلك الورقة حقائق عن السد، وعن الوضع الهائي لمصر، وأثره على مختلف القطاعات في مصر.

أولاً: حقائق عن سد النهضة:

سد النهضة أو سد الألفية الكبير هو سد إثيوبي قيد البناء، أعلنت إثيوبيا عن بداية بناءه في فبراير ٢٠١١، يقع على النيل الأزرق بولاية بني شنقول قماز بالقرب من الحدود الإثيوبية السودانية ويبعد عنها حوالي ٢٠ أو ٤٠ كيلومترا. وعند اكتمال إنشائه يصبح أكبر سد كهرومائي في القارة الأفريقية، والعاشر عالميا في قائمة أكبر السدود إنتاجا للكهرباء، وهو واحد من بين ثلاثة سدود تُشيد في إثيوبيا بهدف توليد الطاقة الكهرومائية.

وبحسب دراسات عن السد، فإن ارتفاعه سيبلغ نحو ١٤٥ مترا، في حين يبلغ طوله نحو ١٨٠٠ متر، وتبلغ سعته التخزينية ٧٤ مليار متر مكعب من المياه، وسيحتوي على ١٥ وحدة لإنتاج الكهرباء، قدرة كل منها ٣٥٠ ميجا واط. تشير التوقعات إلى أن التكلفة الإجمالية للسد تبلغ ما يقرب من خمسة مليارات دولار، وأسندت عمليات الإنشاء إلى شركة "سالني" الإيطالية، وذكرت الحكومة الإثيوبية أنها تعتمز تمويل المشروع بالكامل، وسط توقعات بأن يستغرق بناؤه ثلاث سنوات^٢.

وتم حتى الآن بناء ربع السد، وتقول أثيوبيا إنه سيبدأ توليد ٧٥٠ ميغاوات من الكهرباء بنهاية العام ٢٠١٤. ويعمل المهندسون في الأرض الرملية لوادي جوبا قرب الحدود السودانية على صب الأساسات الخرسانية للسد. وحتى الآن دفعت إثيوبيا ٢٧ بليون بر (١.٥ بليون دولار) من إجمالي التكلفة البالغة ٧٧ بليون بر للمشروع الذي سينشئ بحيرة طولها ٢٤٦ كيلومترا^٣.

^١ إعداد: مروة يوسف : باحثة بمركز الحضارة للدراسات السياسية.

^٢ <http://www.aljazeera.net/news/pages/237b864d-0553-416a-b507-c8374073a607>

^٣ <http://alhayat.com/Articles/1943440/%D8%AA%D9%85%D9%88%D9%8A%D9%84--%D8%B3%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%87%D8%B6%D8%A9--%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AB%D9%8A%D9%88%D8%A8%D9%8A->

وينتظر أن تستفيد إثيوبيا بشكل كبير من بناء السد، حيث ستنتج من خمسة إلى ستة آلاف ميغاواط من الطاقة الكهربائية، كما سيعود بفائدة على السودان من خلال التحكم في الفيضانات التي تصيبها، خاصة عند سد الروصيرص، وتخزين طمي النيل الأزرق، مما يطيل عمر السدود السودانية. وهناك مخاوف من أن يتسبب بناء السد في إغراق نحو نصف مليون فدان من الأراضي الزراعية وتهجير نحو ٣٠ ألف مواطن من منطقة إنشاء السد.

ثانياً: مصر وسد النهضة. حاولت مصر بكافة الطرق وقف بناء السد وهو ما رفضته إثيوبيا، بالرغم ما يقال في الإعلام من موافقة إثيوبيا، فإن ذلك يعود إلى المزايدات الداخلية للسلطة المصرية.

وجدير بالذكر أن حصة الأساسية لمصر من النيل هي ٥٥ مليار متر مكعب بالإضافة إلى معدل أمطار ضعيف لا يسهم في سد إحتياجات مصر المائية، ويقدر نصيب المواطن المصري من المياه بـ ٧٠٠ متر مكعب نتيجة تضاعف عدد سكان مصر خلال نصف قرن من ٢٠ مليون نسمة إلى ٨٠ مليوناً؛ بعد أن كان نصيب الفرد من المياه بمصر قبل نحو ٢٠ عاماً ٢٢٠٠ متر مكعب في السنة، وتتوقع وزارة الري والموارد المائية تراجع نصيب الفرد إلى نحو ٥٨٠ متراً مكعباً في عام ٢٠٢٥، مشيرة إلى أن حد الفقر المائي العالمي يقدر بـ ١٠٠٠ متر مكعب سنوياً^٤. فمصر قد دخلت حد الفقر المائي، و يستهلك كل من قطاعي الزراعة والصناعة المعدل الأكبر من المياه التي تصل إلى مصر.

ويتوقع أن يتم ملء السد على ثلاث أعوام ، وهناك من يقول أن الأمر يحتاج إلى ست أعوام لملء السد، الإشكالية الكبرى للسد هي فقد كل من مصر والسودان لكمية المياه التي تعادل سعة التخزين الميت لسد النهضة، والتي تقدر بـ ٢٥ مليارم^٣ حسب حجم الخزان في العام الأول^٥. بالإضافة إلى فقد ما يعادل ١٢ مليار م^٣ مياه سنوياً خلال العامين اللاحقين لملء الخزان^٦،

[%D9%82%D8%B1%D8%A7%D8%B1-%D8%AC%D8%B1%D9%8A%D8%A1-%D9%8A%D8%AD%D8%A8%D8%B7-%D9%85%D8%B5%D8%B1-%D9%88%D9%8A%D8%AC%D9%84%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AE%D8%A7%D8%B7%D8%B1](#)

^٤ <http://classic.aawsat.com/details.asp?section=4&issueno=11497&article=570490#.U6rquJSSyE>

^٥ <http://www.siyassa.org.eg/NewsContent/3/112/1773/%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AC%D9%84%D8%A9/%D8%AA%D9%82%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%B1/%D8%A8%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%8A%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%A7-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%A9.aspx>

^٦ <http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=1530817&eid=17226>

مما قد يؤدي حسب بعض الآراء إلى، توقف زراعة مليون فدان من الأراضي الزراعية بمصر مع تشريد ٥ ملايين مصري.^٧ انخفاض الكهرباء المولدة عن السد العالي بنسبة ٢٠%، بالإضافة إلى أنه توجد آثار سلبية أخرى للسد فيما يتعلق بالبيئة مثل ارتفاع درجات الملوحة في الأرض والتلوث.^٨

استكمال بناء السد في الوقت المحدد وأثره على مصر.

ما تأثير استكمال بناء السد في الوقت المحدد على مصر سيتم أخذ أكثر القطاعات تأثراً، وما المطلوب من الحكومة المصرية فعله من أجل تقليل ذلك التأثير.

- ١ - كهرباء السد العالي: إذا كان سد النهضة يحتاج ما بين ٢٥ مليار متر مكعب و ٢٨ مليار متر مكعب سنويا خلال أعوام الملء فإن ذلك سيقفل المياه التي تصل إلى السد العالي بحولي نسبة ١٩ % مما سيقفل إنتاج الكهرباء بنسبة ٢٤%^٩ ، مما سيضطر الحكومة إلى البحث عن مصادر طاقة أخرى لتوفير الكهرباء والتي تعاني بالفعل من أزمات كبرى؛ فإما أن تتجه الحكومة لشراء الكهرباء من إثيوبيا وذلك سيضطرها لتغيير سياساتها الخارجية تجاه الأخيرة، أو تشتري الكهرباء من مصادر أخرى ولكن في جميع الأحوال فإن الأمر سيكون مكلف على الاقتصاد المصري الذي يعاني منذ أمد طويل
- ٢ - أما فيما يتعلق بالزراعة فإن منسوب المياه سينخفض بنسبة ١٩%^{١٠} وتلك نسبة تستطيع بحيرة ناصر تعويضها فيما يتعلق بالاحتياجات المنزلية والزراعة؛ وإن كان القطاع الزراعي يعاني بالفعل من خلل في إدارة المياه؛ ولذلك ستحتاج مصر على المدى الطويل والمتوسط إلى هيكلة قطاع الزراعة.

- ٣ - قطاع الصناعة: إذا كان قطاع الزراعة سيتم تعويضه من مياه بحيرة ناصر، فهل سيتأثر قطاع الصناعة من فترة ملء سد النهضة؟ ربما أكثر من سيتأثر المصانع ذات

^٧ <http://www.aljazeera.net/news/pages/237b864d-0553-416a-b507-c8374073a607>

^٨ <http://studies.alarabiya.net/files/%D9%85%D8%A7%D8%B0%D8%A7-%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B5%D8%B9%D9%8A%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%AB%D9%8A%D9%88%D8%A8%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%8A%D8%A7%D8%B1%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B5%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D8%AA%D8%AC%D8%A7%D9%87-%D8%B3%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%87%D8%B6%D8%A9>

^٩ Asegdew G. Mulat, Semu A. Moges, "Assessment of the Impact of the Grand Ethiopian Renaissance Dam on the Performance of the High Aswan Dam", **Journal of Water Resource and Protection**, (California: authors and Scientific Research Publishing Inc, April 2014)

^{١٠} Ipid

الاحتياجات الكثيفة للمياه مثل مصانع الأسمنت ولكن من المؤكد أنه سيتأثر من حيث انخفاض معدل انتاج الكهرباء.

ونستطيع أن نقدم حلول وسط بين رغبة إثيوبيا في استكمال السد وبين المصالح المصرية في المحافظة على نسب المياه المتدفقة ونسب توليد كهرباء السد العالي

بديل لحل أزمة ملء السد: مد فترة ملء الخزان لأكثر من عام

رفضت إثيوبيا حسب رأي بعض الخبراء تمويل مصر لجزء من تكلفة السد، ومن ثم الدخول في شراكة معها في إدارته، مع الإقرار برفض إثيوبيا دخول في مفاوضات حول وقف بناء السد أو تأخير بناءه .

لذلك فإن أحد الحلول المطروحة من قبل د. عباس شراقي (أستاذ الجيولوجيا الاقتصادية /معهد البحوث والدراسات الإفريقية) لتقليل من مخاطر السد على مصر هو : زيادة فترة ملء الخزان بما لا يقل عن ١٥ عاما وتحت اشراف خبراء من البلدين، مع امكانية ان يكون الملء في سنوات عالية الايراد فضلا عن التوقف عن الملء حالة تراجع المنسوب لأقل من المتوسط^{١١} . مع ملاحظة أن مد تلك الفترة سيؤثر سلباً على الخطط الإثيوبية للتنمية.

ولكن يحتاج هذا الحل إلى جهود دبلوماسية ضخمة من جانب مصر:

أولاً: محاولة للوصول إلى اتفاق مع إثيوبيا حول السد؛ وهو ما يقابل بالرفض دائما لأن القيادة الإثيوبية تعتبر السد مشروع قومي وطني سيحل العديد من المشكلات الداخلية ، بالإضافة إلى استخدامه للمزايدات الداخلية حول السيادة الوطنية، و إظهار أنانية مصر كدولة مصب ولا تهتم بدول المنبع.

ثانياً: جهود على المستوي الخارجي ليتدخل الشركاء الأوروبيين والصين كوسيط محاولة للتوسط إلى حل وسط ألا وهو مد فترة ملء السد؛ والسؤال الذي يطرح نفسه حالياً لماذا لم يتم عرض هذا البديل في المفاوضات بين البلدين؟

ثالثاً: خطة مصرية لتعويض إثيوبيا عن تأجيل خططها التنموية المفترضة من عمل السد في موعده، فعلي سبيل المثال تقديم مقترحات مصرية لمشروعات تنموية في إثيوبيا.

^{١١} <http://www.aljazeera.net/news/pages/237b864d-0553-416a-b507-c8374073a60>

ملاحظات ختامية:

- أ) أن أزمة السد مازالت أزمة سياسية وقانونية تتعلق بكيفية إدارة حوض النيل والعلاقات الثنائية بين جميع الأطراف وليست مشكلة مائية بين مصر وإثيوبيا.
- ب) أن إثيوبيا تتبع سياسة الأمر الواقع مع مصر من حيث بناء السد وتري العديد من الأوراق الأكاديمية حول السد أن مصر ستوافق على السد وتدخل في مفاوضات حول استغلاله حين الانتهاء من بنائه، في حين إنشغال الأخيرة بصراعتها الداخلية.
- ت) أن هناك تهويل كبيراً من أضرار السد في الداخل المصري غير صحيحة نتيجة قلة الدراسات الموضوعية المصرية عنه، بالإضافة إلى المزايدة السياسية التي تضر المفاوضات الدائرة حوله.
- ث) أن أشد القطاعات تضرراً من بناء سد النهضة هو قطاع الكهرباء الذي يعاني بالفعل من توقفات عديدة، مما يضطر الحكومة لشراء المزيد من الغاز الطبيعي لتوليد الكهرباء أو شراء الكهرباء من إثيوبيا وهو هدف إثيوبيا الأساسي من بناء السد ألا وهو بيع الكهرباء للدول المجاورة.
- ج) أن الاقتصاد المصري سيتضرر من بناء السد نتيجة تحمله تكلفة نقص الكهرباء ، مما سيقلل الفرص الاستثمارية لعجز الحكومة عن توفير كهرباء للمصانع مدعمة أو ذات قيمة قليلة.
- ح) أن قطاع الزراعة لن يظهر التضرر به من بناء السد على المدى القريب، خاصة أنه متراجع فعليا، أما بالنسبة إلي المدى المتوسط والطويل فإنه في حاجة لإعادة هيكلة حتي يستطيع تلبية مطالب الداخل المصري سواء أقيم السد أم لا.
- خ) ستتأثر الخطط التنموية المستقبلية لمصر نتيجة للسد، حيث يجب إعادة رسمها في ظل الظروف الجديدة التي يفرضها السد على مصر.
- وفي الختام سد النهضة يعد تحدياً أمام مصر لإعادة رسم سياساتها العامة؛ سواء الداخلية فيما يتعلق بخطط وبرامج التنمية وحفظ وترشيد استغلال الموارد العامة، أو سياساتها الخارجية خاصة تجاه دول حوض النيل.